

# الشاشة هي كتاب كان ياما كان..



(مروان طحطح)

**أطيافنا**  
pop

يار أبي صعب

مئة لقطة ولقطة، جمعها زافين قيومجيان برفق وصبر وشغف. صور نادرة وحكايات مهمة، من مطلع الستينيات وولادة تلفزيون لبنان، إلى أوائل التسعينيات، مع كسر احتكار التلفزة الوطنية، تمهيداً لدخول زمن الفضائيات... «أسعد الله مساءكم»، كانت الجملة تشعرك بالإلفة والهيبية في آن معاً، هناك أشياء خطيرة ستحدث على الأرجح. ستأتي الحرب. سيغيّر العالم. لا عليك، اقترب وتفرّج على هذه القبلية الطويلة بين فؤاد نعيم ونضال الأشقر في «نساء عاشقات». سمير نصري، روبري أبي راشد، بول شاوول، وليد شمييط... مادونا غازي. رضا خوري «صوت» كوكتو في دائرة الوحدة والقطيعة. كرافات جان خوري، عبسة عرفات حجازي، غرّة غاري غارابتيان. طرحة نزهة يونس، حاجب إيلي صنيفر المعقود ولدغته. بوشيت نجيب حنكش البيضاء. الـ «قتال 11»، قبعة فيلمون، ابتسامه هند أبي الملع وجبهتها العريضة، سكسوكة عبد المجيد مجذوب. بابيّن احسان صادق. نهي الخطيب سعادة. شوشو قبل الشارين مع العم محمد شامل. الدروندي والسلمنكي وزمرد وكوكو العتقجي في «الدنيا هيك». ابو سليم واسعد وفهمان ودرباس. طربوش أبو ملح وشوشة إم ملحم ووعظهما اللطيف. مرشح شاب لـ «استوديو الفن»، اسمه راغب علامة، في حضرة عضو اللجنة أنطوان ريمي. «دوك» كليشي القروي التائه في المدينة. «يصبحك بونجور ستنا بيروت».

«جسد» رنده، وتاج جورجينا. زنود الأخوين سعادة بالمايوه الضيق واللحية المروسة. لغة كميل منسى الرخيمة ونظاراته. صوت ماجد أيوني. «مطربة السيكس» مها عبد الوهاب. عينا ليلي رستم على اتساعهما. شامية سمير توفيق. قصة شعر صونيا بيروتي راية حريّة السبعينيات. «اسم» مارسيل مارينا. الشوار الطويل. فارس يواكيم. محمود المليجي، شخصياً. سميرة بارودي واحسان صادق بديا «فارس بني عباد». أول خطاب رئاسي متلفز لشارل الحلو. رياض شرارة وكابي لطيف. ماجدة الرومي والهدايا بالعلب» تحت رعاية سيمون أسمر. منى مرعشلي، أنطوان بارود. وسيم طيارة، غاستون شيخاني. ناصيف مجدلاني. إيفيت سرسق وسامي خياط. أنطوان ولطيفة ملتقى في «عشرة عبيد زغار». جان (كرباج) فلجان في «البؤساء». ريمي بندلي ما غيرها: «اعطونا السلام». وجيه رضوان، مروان العبد، أحمد العشي. الست بدور. عازف الليل. لمن تغني الطيور. أخوت شاناي. جورج شلهوب ولسي فرينة. شيبية فيليب عقيقي. فيروز وصباح ووديع وفريد... بيليه حتماً. (أنطوان) بربر آغا على حصان أنطوان غندور... انقلاب الاحدب. الحرب. دائماً هي، ستأخذ معها وطن الأوبريت واستوديو بعلبك وبيروت. وتترك لنا ديكوراً هجيناً معلماً تحت رحمة رساميل الخليج. هذا الكتاب، لا يدعي تاريخاً ولا تحليلاً، مجرد باقة من اللحظات. لا بد من الاحتفاظ به على رف قريب لمعالجة نوبات الاكتئاب. «أسعد الله مساءكم».

## زافين قيومجيان بين تاريخ وحين مئة لحظة صنعت ذاكرتنا الجماعية

زينب حاوي

يعيش الإعلامي زافين قيومجيان (1970) هذه الأيام فرحة حصاده خمس سنوات من الجهد والبحث أثمرت كتابه الجديد «أسعد الله مساءكم... مئة لحظة صنعت التلفزيون» (هاشيت - انطوان). «أسعد الله مساءكم» تلك العبارة السحرية التي تردت لسنوات على شاشة «تلفزيون لبنان» وطبعت معها مرحلة من الزمن الجميل، ردها قيومجيان عام 1992 في مناسبة ارتداء هذه القناة حلّتها الجديدة في الأخبار والبرامج. يومها، ختم الإعلان الترويجي «تلفزيون لبنان المبتدأ والخبر» بهذه العبارة. كان زافين من بين الوجوه الشابة مع اثنتين من زميلاته: رجاء كموني وندى صليبا. لا شك في أنّ هذه اللحظة أثرت في الإعلامي اللبناني لحنه على إنتاج هذا الكتاب. وإلى جانب هذه اللحظة، كان تكليفه من قبل فريق الأخبار بإعداد تقرير عن أرشيف «تلفزيون لبنان». وقتها ذهل الشاب بهذه الكنوز وعاد بالزمن إلى الوراء، إلى أزمنا ذهبية طبعت الشاشة الرسمية طويلاً. هاتان الحادثتان شكلتا هذا الحافز ليصدر اليوم مولوده الجديد.

قصة قيومجيان مع التلفزيون ليست مستجدة. يروي لـ «الأخبار» أنه منذ عامه العاشر، كان يطمح ليكون مراسلاً حربياً، رغم سكنه في منطقة فردان التي لم تشهد على هول الحرب الأهلية. كان يسمع فقط أصوات المدافع والقذائف ويراهما على شاشة التلفزيون: «لم أر في

حياتي قتيلاً، ولا بناية مهدمة». هذا الأمر تحقق مرتين في مسيرته الإعلامية، عندما ذهب في عامي 1993 و1996 إلى الجنوب اللبناني وغطى الاعتداءات الإسرائيلية هناك. لا شك في أنّ تغطيته مجزرة قانا (1996) كان لها الوقع الأبرز في هذه المهمة. مهمة المراسل الحربي انتهت هنا، لتبدأ مسيرة أخرى داخل القناة الرسمية وانتقالاً إلى شاشة «المستقبل». وضمن طيات هذه السنوات، لا يخفي المقدم الشاب صعوبة دخوله إلى هذا المضمار لأسباب عدة، ضمنها أنه ليس وسيماً كما يقول. أيضاً، يرى أنّ انتماءه إلى الطائفة الأرمنية جعل حظوظه تنكفئ بسبب الصيغة اللبنانية التي كانت مطروحة آنذاك بأن «الأرمني» لا يعمل في التلفزيون مديعاً، بل توكل إليه مهمات أخرى كالمونتاج والتصوير وغيرها. يرى قيومجيان أنه كسر «الكليشي» اللبناني وظهر على الشاشة الصغيرة بعد طلبه من البطريك الأرمني بالتوسط لتوظيفه، وأعطاه الدفع الكامل في هذا الوقت المدير العام فؤاد نعيم ومدير الأخبار عارف العبد. أصبح ينادى «التلفزيونجي» كما بات يكنيه والده.

بعد أكثر من 20 عاماً على عمله في التلفزيون، يقف الإعلامي اللبناني على حافة مختلفة برفض تقويمه بعد كل هذه السنوات تبعاً لنسب المشاهدة التي يحوزها برنامجه «بلا طول سيرة» على «المستقبل»، بل حسب ما قدمه لهذا التلفزيون من «تجديد وريادة». في عصر البرامج الفضائية التي تنافس بعضها بعضاً اليوم، لا يخفي قيومجيان

تورطه بداية في فخ لعبة الإثارة والتسطيح التي يتطلبها العمل التلفزيوني. لكنه يستدرك قائلاً بأنه اجتهد أكثر للخروج منها حتى لا يصبح «استهلاكيًا». يطل على الواقع الحالي لهذا القطاع، معتبراً أنه فقد الصدقية التي تبني عادة مع المشاهد، عبر فبركة الفضائح والعمل على أن تكون الإثارة «وجه

في التقويم وإبداء الآراء. مع ذلك، وفي صراع بين الباحث والصانع للتلفزيون والمشاهد، ربح الباحث داخله كما يقول لنا. فالمهم ما يؤكد «الخبرية» وليس من «يخبر». في الهاجس الذي كان يعتره طوال تحضيره لهذا العمل، كانت الأولوية تنحصر في تخليد رموز لبنانية صنعها التلفزيون وليس إرضاء الجميع. هذه الرموز التي بقيت ضمن ذاكرة جيلها واستحالت طيفاً اليوم، يكرس لها الكتاب هذه الحصة لتتنبّت في الذاكرة الشعبية اللبنانيين إلى حدّ أسطرتها.

في صفحات الزمن الجميل والزمن القبيح للتلفزيون اللبناني، لم يرو قيومجيان في كتابه، كما كشف لنا، مراحل الحرب العنيفة و«تجاوزاتها» وتحول التلفزيون وقتها إلى أداة «بشعة»، ولا سيما في حرب «عون/ جعجع». لم يطل على جزء من حركة دراما الثمانينات التي كانت تنشط في موازاة الحرب الأهلية، ربما بسبب تصدر لغة المدافع على ما سواها من أصوات. قابل أكثر من 200

شخصية من صنّاع التلفزيون في هذه الحقبات، تأرجحت انطباعاتهم وهم يسردونها، فمنهم من أثر الانغلاق على نفسه واعتبر الكلام «اقتحاماً لحميمية داخلهم»، ومنهم من تعاون. لكن تبقى النقطة الأهم في استخلاص شخصي قام به قيومجيان من خلال هذا العمل وهو التمرين على مسألة يجب أن تمر بها كل البشرية من خلال صناعة هذا الكتاب، ألا وهي المرور بمراحل متفاوتة بين النجاح والفشل والنكران.

كانت الأولوية

تلخص في

تخليد رموز لبنانية

صنعها الشاشة

الصغيرة وليس إرضاء

الجميع

كانت الأولوية

تلخص في

تخليد رموز لبنانية

صنعها الشاشة

الصغيرة وليس إرضاء

الجميع